

ما زال يَعْذِي تَجاوب العاَهِل السُّعُودي السَّرِيع مع طَلب تراَمِب بِرْزِيادَة إِنْتاج الذَّفَط مِليوْنِي بِرْمِيلِي يَوْمِيًّا؟

وهَل أصْبَح الرَّئِيس الْأَمْرِيْكِي هُو أَمِين عَام "أُوبِك"؟ وَمَا هُو مَوْقِف رُوسِيَا وَالصَّين وَالدُّول المُضَرِّرة الأُخْرَى؟ وَهَل سَتَحْصُل الْقِيَادَة السُّعُودِيَّة عَلَى ثَمَانِي مُقَابِلَهُ هَذَا الْقَرَار الْخَطِير..
وَمَا هُوَ؟

عبد الباري عطوان

لَبَّيْتِ الْمُمْلَكَة الْعَرَبِيَّة السُّعُودِيَّة زِيَادَهُ الرَّئِيس الْأَمْرِيْكِي دُونَالْدُ تراَمِب، وَوَافَقَ عَاهِلَهَا الْمُلْك سَلَمَانُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيز فَورًا عَلَى زِيَادَهُ إِنْتاج بِلَادِهِ مِن الذَّفَط يَوْمِيًّا لِتَعْوِيْضِ الذَّفَصِ المُتَوَفِّعِ فِي الإِمْدادَات بِسَبِيلِ الْعُقوَباتِ الَّتِي تَفَرَّضَهَا الإِدَارَة الْأَمْرِيْكِيَّة عَلَى كُلِّ مِن إِيرَان وَفِنْزُويْلَا، وَتَخْفيضِ أَسْعَارِ الذَّفَطِ الْخَام قُبِيلِ الْإِنْتِخَابَاتِ التَّشْريعِيَّة الْأَمْرِيْكِيَّة الْمُصْفِيَّة فِي تَشْرِينِ الثَّانِي (نوْفَمْبِر) الْمُقْبِلِ، بَعْدَ أَن تَجَاوَرَتْ حَاجِزَ الـ 80 دُولَارًا لِلْبَرْمِيلِ.

الرَّئِيس تراَمِب أَطْلَقَ الرَّصَاصَة الْأُولَى فِي حِصَارِهِ الَّذِي يُرِيدُ فَرَضَهُ عَلَى إِيرَان ابْتِداَءً مِن تَشْرِينِ الثَّانِي الْمُقْبِلِ كَخُطُوهَهُ أُولَى فِي إِطَارِ مُخَاطَطَتِهِ الرَّأْمِي لِإِطَاحَةِ النَّظَامِ، وَاسْتِبدَالِهِ بِآخَرِ مُوَالِ لِلْلُّوَلِيَّاتِ الْمُنْتَدِّبةِ تَمَامًا مِثْلَمَا جَرَى أَثْنَاءِ غَزوِ الْعَرَاقِ وَاحْتِلَالِهِ عَام 2003، وَتَغْيِيرِ نَظَامِ الرَّئِيس صَدَامِ حَسَنِ بْنِ حَرَيْرَهِ إِسْرَائِيلِيًّا.

السِّينَارِيو نَفْسُه يَتَكَرَّرُ الْآن بَعْد 15 عَامًا بِالْتَّامِ وَالْكَمَالِ، وَتَلْعَبُ الْمُمْلَكَة الْعَرَبِيَّة السُّعُودِيَّة، وَدُوَلُ خَلِيجِيَّةٍ أُخْرَى دَوْرًا مِحْوَرِيًّا فِيهِ، سَوَاء بِإِغْرَاقِ أَسْوَاقِ الْعَالَم بِالذَّفَطِ لِخَفْضِ الْأَسْعَارِ حتَّى لَا يَتَأثَّرُ الْإِقْتَصَادُ الْغَرْبِيُّ، وَجِيبُ الْمُوَاطِنِيْن الْأَمْرِيْكِيِّين بِالْتَّالِيِّ، هَذَا حَمْلٌ قُبِيلٌ غَزوِ الْكُوَيْتِ عَام 1990، وَالْأَمْرُ نَفْسُه تَكَرَّرُ أَثْنَاءِ غَزوِ الْعَرَاقِ عَام 2003، وَكَان لَافِتَةً أَنَّهُ فِي الْغَزوَيْن لَم تَرْتَفِعْ أَسْعَارُ النَّفْطِ، فَإِغْرَاقُ الْأَسْوَاقِ بِكَمِيَّاتٍ إِضافِيَّةٍ مِن الذَّفَطِ وَتَخْفيضِ الْأَسْعَارِ بِالْتَّالِيِّ هُوَ أَحَدُ أَبْرَزِ مُؤْشِّرَاتِ الْحُرُوبِ الْأَمْرِيْكِيَّةِ فِي الْمِنْطَقَةِ الْعَرَبِيَّةِ.

خطوة تغيير النظام في إيران التي بدأ الرئيس ترامب في تطبيقها بتشديد الحصار النفطي، وتحريك الشارع الإيراني، ومحاولة تجفيف العوائد المالية، ترتكز على تحديد الدّول والشركات التي تمر فُصّل إملاهاته بوقف استيراد النفط الإيراني وعدم الالتزام بالعقوبات بوضعها على القوائم السوداء، وإغلاق الأسواق الأمريكية في وجهها، أمّا الجانب الآخر من هذه الخطوة فيتمثل في زيادة معايير الشعب الإيراني من جراء الغلاء وتدحرج قيم العمالة الوطنية، مما يدفعه إلى الثورة، والتزول إلى الشوارع في مظاهرات احتجاجية ضخمة، وقد بدأت حملات التحرير الإعلامية في هذا المضمار، ومن المتوقع أن تصاعد وتيرةها في الأسابيع المقبلة. إيران تنتجه حالياً 2.8 مليون برميل نفط يومياً، تشتري الصين (600 ألف برميل)، والهند (400 ألف برميل)، أي ما يقرب من نصف حجم الصادرات النفطية الإيرانية، أمّا ما تبقى من كميات فيذهب إلى تركيا واليابان وكوريا الجنوبية وفرنسا وإيطاليا وإسبانيا، وضخ المملكة العربية السعودية مليوني برميل إضافي يعادل حجم الصادرات الإيرانية تقريراً، وربما يضاعف الرئيس ترامب على دول الخليجية أخرى مثل دولة الإمارات العربية المتحدة والكويت بالإضافة بضعة مئات الآلاف من البراميل الإضافية أيضاً لكونها ضرورية لهبوط الأسعار تحت حاجز 80 دولاراً للبرميل (خام برنت) التي وصلت إليه يوم الجمعة للمرة الأولى منذ عام 2016، وهناك تقارير تقول بأن السعودية قد تضطر لتفعيل الإنتاج المتوقف في حقل الخجي والوفرة المشتركة مع الكويت في المنطقة المحاذية التي يُقدر إنتاجها بـ500 ألف برميل يومياً.

القرار السعودي بالموافقة على طلب الرئيس ترامب في المكالمة الهاتفية التي أجراها مع العاهل السعودي اليوم السبت يعني وصول الإنتاج السعودي إلى سقفه الأعلى أي 12 مليون برميل يومياً، وخروجاً عن اتفاق "أوبك" الذي جرى التوصل إليه قبل أسبوع بالتنسيق مع روسيا، على أن تكون زيادة الإنتاج في حدود مليون برميل فقط، الأمر الذي قد يؤدي إلى انهيار المنظمة أو حدوث انقسامات فيها على الأقل.

بعد هذه المكالمة الهاتفية أصبح ترامب هو أمين عام منظمة "أوبك"، وصاحب القرار الأول والأخير فيها من خلال نفوذه وإملاهاته على السعودية ودول الخليجية أخرى.

لا يعرف كيف سيكون رد الفعل الروسي على الخرق السعودي لاتفاق أوبك، وكذلك ما وافق دولاً أخرى أعضاء في المنظمة النفطية، مثل الجزائر التي لعبت دوراً بارزاً في "المصالحة" بين روسيا ومنظمة "أوبك" بقيادة السعودية، مما أدى إلى وقف انهيار الأسعار واتجاهها صعوداً، ولكن من المؤكد أننا أمام مرحلة من الفوضى في الأسواق العالمية، اقتصادية وسياسية، قد تتطور إلى استقطابات وتحالفات لا تكون في صالح أمريكا وحلفائها العرب بقيادة السعودية.

تخفيض أسعار النفط بقرار سعودي مفاجئ آخر، وفي أقل من أربع سنوات من القرار الكارثي،

سيَنْعَكِس سَلْبًا على عَوَائِد دول "أوبك" التي مُذَيّت بكارثةٍ ماليةٍ من جرّاء انهيار أسعار النفط عام 2014 ووصلها إلى 30 دولارًا، بعد أن وصلت إلى 120 دولارًا للبرميل، خاصًّةً أنَّ القرار السعودي الجديد يأتِي في وقتٍ بدأت فيه الأسعار تتعافى وتقترب من قيمتها الحقيقية، وبِمَا يُؤْفِر العَوَائِد المَأْمولة للدُّول المُصدِّرة ومُعَظَّمها من العالم الثالث وتُواجه أزماتٍ اقتصاديَّة طاحنة.

تركيا أعلنت بالأمس أرقامها لن تلتزم بالعقوبات الأمريكية وستستمر في استيراد النفط الإيراني كالمعتاد، لأنَّ إيران دولة جارة وشريكٌ مهمٌّ، ومن غير المُستَبعد أن تَحذو الصُّنف حذوها، وربما تذهب إلى ما هو أبعد من ذلك وتزيد وارداتها النفطية من طهران إلى مليون برميل يوميًّا حسب بعض التقارير الإخبارية.

السؤال الذي يطرح نفسه بقوَّة هو عن الثمن المُقابل الذي من المفترض أن تَحصل عليه القيادة السعودية مقابل هذا التجاوب السريع مع طلب ترامب، وزرادة إنتاجها النفطي إلى معدّلاتِه القصوى، وبِمَا يحرّم مواطنينها، ومُعَطَّم الشعوب الخليجية والإسلامية العربية الأخرى المُصدّرة للنفط وتعتمد على عوائده كمصدرٍ أساسيٍ للدخل (الجزائر، ليبيا، العراق، نيجيريا، إيران، أندونيسيا، والقائمة تطول)، من مئات المليارات من الدولارات سنويًّا بسبب هذا الانخفاض في الأسعار، ومن أجل رفاهية المواطن الأمريكي والغربي، وانتعاش اقتصاديات بلداته، وتغيير النظام في دولة مسلمة، وإغراق منطقة الشرق الأوسط في الفوضى، نذكر الإجابة لاجتهاداتكم وللأسابيع والأشهر المُقبلة، وما علينا إلا الانتظار.